

سليمان بن سليمان

(5 ديسمبر 1905-26 فيفري 1986)

(1)

التنشئة الأولى وفترة الدراسة
في تونس (1905-1925)

بقدر ما يلح سليمان بن سليمان على منشئه الريفى الزغوانى ، مقابلا دائما بينه وبين العاصمة ممثلة في تونس العاصمة الأوربية والمرسى ، فان المرء لا يكاد يعثر ، في ما يتصل بانتفاء عائلته السياسى ، على شيء يذكر: فهي عائلة مسلمة محكومة بهذا الشعور الدينى الذى حكم أغلب التونسيين والجزائريين والطرابلسيين ودفعهم إلى الإيمان الباهت بأن مصير الخلافة العثمانية هو مصيرهم لذلك رأيناهم أثناء الحرب الكبرى أي حرب 1914-1918 يناصرون الخلافة وحلفاءها ومنهم ألمانيا القيصرية ويعادون خصومها ومنهم أنقلترا وخاصة فرنسا:

"لحق عائلتي في زغوان أثناء هذه الحرب ضرر كبير فأخي قاسم وهو كبير العائلة حكم عليه بست سنوات سجنا وبالخضوع للمراقبة الإدارية لأنه ردد النشيد:

ياتونس وعلاش حزينـة كانك على الألمان غدوة يجينا

(لم أنت حزينـة يا تونس؟ إن كان حزنك بسبب غياب الألمان فان غياب هؤلاء لن يطول)

وأنا أيضا كدت أن أكون عرضة للمشاكل اذ حدث أن بادلت زميلي (في الدراسة) قاسم والى(1) ورقة كتب عليها جملة تفيد التعاطف مع الأتراك أحلاف الألمان ولم يكن مدير مدرستي يحتملنى. لقد كانت كل عائلتي تتمنى أن ينتصر الألمان حلفاء الترك المسلمين"(2)

(1) سيتزوج سليمان بن سليمان ابنته زهرة في جويلية 1947. انظر ص 214 من المصدر الذي سيلحق في الحاشية عدد 2

(2) سليمان بن سليمان، ذكريات سياسية (بالفرنسية) ، تونس ، سيريس للإنتاج، 1989 ، ص 24.

هـ دا الشاهد يتضمن عددا من المحاور التي لا بد من التوقف عندها لشح المعلومات المتصلة بحياة العائلة السلিমانيّة في الريف الزغواني قبل انتقال سليمان بن سليمان إلى العاصمة بعد الحرب الكبرى للدراسة في المدرسة الصادقية وهي دراسة تزامن تحوله من الفكرة الإسلامية إلى الفكرة الوطنية.

أول هذه المحاور هو المحور المتصل بميول العائلة السلیمانيّة السياسيّة الدينيّة:

إن بلاد شمال أفريقيا ، باستثناء مراكش أو مراكش التي لم يشملها الحكم العثماني الذي كان يمكنه ، على تخلفه مقارنة بأوروبا أن يزيد من توثيق عراها ببقية بلاد المغرب ، لم تكن ترى في الحكم العثماني "استعمارا" مثلما كان الشأن بالنسبة إلى دعاة القومية العربية الأوائل من الشوام المسيحيين خاصة منذ نهايات النصف الثاني من القرن التاسع عشر إذ أن المغاربة هم الدين استجدوا بالعثمانيين (لا بالأتراك) بعد أن أحسوا بهجمة غربية مسيحية كاسحة (اسبانية وبرتغالية) عليهم في القرن السادس عشر الميلادي أي في هذا القرن الذي ادا كانت فيه بدور الدولة القومية تمكن لنفسها في التربة الرأسمالية الغربية فإنها كانت مفقودة تماما في بلاد العرب والمسلمين التي ما زالت أسس مجتمعاتها تقوم على مفاهيم تقليدية ما قبل رأسمالية لا قيمة للحدود أو الجنسية فيها:

فخير الدين باشا(1) على سبيل المثال الذي يعد مرجع التونسيين الإصلاحيين (2) لهم يحل انتسابه إلى تونس دون تولي منصب الصدارة العظمى في الآستانة (3) فترة من الزمن أثناء حكم السلطان عبد الحميد (4) رافع شعار " الجامعة الإسلامية ".

من هنا نفهم أن شعور العائلة السلیمانيّة وإن كان "شعورا دينيا سياسيا ابتدائيا" فهو شعور عميق الجذور. والتقليل من شأنه قد يقود إلى أخطاء فكرية سياسية في موضوع مثل موضوعنا يشبه العمل فيه عمل الصيدلاني الذي عليه أن يسيطر سيطرة تامة على المعرفة بالمكاييل والموازن في صنع دوائه

(5)

-
- (1) "خير الدين(1820-1890)، سياسي ومصلح ورجل دولة أصله من قبيلة أباطة الشركسية. شغل العديد من المناصب وارتقى فيها. سافر إلى العديد من الدول الأوروبية وأفاد منها الكثير في تشكل وعيه الإصلاحي. له كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" أودع فيه خلاصة آرائه في الإصلاح والتمدن": محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، 1980.
 - (2) مفهوم الإصلاح فضفاض لا بد في كل موضع من تحديد مضمونه الاجتماعي إضافة إلى مضمونه السياسي. فمن يعد "مصلحا" عند أنصار هذه المدرسة قد يعد عند خصومهم "معاديا للإصلاح" .
 - (3) الآستانة: عاصمة الدولة العثمانية.
 - (4) عبد الحميد (1842-1918) هو السلطان العثماني (1876-1909) الذي ثار عليه الضباط الشبان سنة 1908 وفرضوا عليه إصدار دستور للبلاد قبل أن يخلعوه سنة 1909.
 - (5) اشتد سليمان بن سليمان في مقاومة من نشط من الديانيين التونسيين سياسيا لا لموقف من الإسلام ولكن من المسلمين. ومن لا يميز بين الأمرين قد يتخذ من هذا الطبيب والمفكر الذي قاوم فرنسا مثلما قاوم فيما بعد "صديقه" بورقيبة وتعرض لامتحان موقفا أقل ما يقال فيه انه موقف عشوائي أي لا يدل على بعد نظر.

وهذه الملاحظة الأخيرة تقودنا إلى المحور الثاني وهو خلو ذكريات سليمان بن سليمان السياسية المتصلة بفترة ما قبل 1918 أو الفترة القصيرة اللاحقة من أية إشارة إلى "التونسيين الفتيان" من دعاة "التواصل" بين الحامين الفرنسيين والمحامين التونسيين الذين لا يعادون المحتل الفرنسي المسيحي. وأسماء هؤلاء كثيرة يكاد أن لا يخلو منها تأليف تونسي في "أصول الحركة الوطنية" التونسية منهم حسين الجلالي (1) ومحمد نعمان (2) والصادق الزمري (3) وآخرون عديدون أي كل هؤلاء الذين خذلوا عبد العزيز الثعالبي (4) واتجاهه في "تونس الشهيد".

فهل من الصدفة أن لا تبقى ذاكرة سليمان بن سليمان إلا على أسماء الثعالبي ومن ناصره؟ وهل من الصدفة أن يكون التلميذ القيرواني الصادقي الحبيب جاء وحده (5) الدستوري القديم هو الشخصية المركزية في حياة الشباب سليمان بن سليمان أثناء السنوات الست التي قضاها في المدرسة الصادقية (1919-1925) بها يميز الوطني "شحما وعظما" (6) عن الوطني صدفة واللاوطني "جنيبا"؟ خلاصة القول، وهذا الأمر قد يصدم الكثيرين، هي أن "العرق الديني" عميق الغور شديد التأثير في سليمان بن سليمان ولكننا بإزاء دين لا علاقة تربطه بما يعرف عن هذه التيارات الدينية السلفية سواء أكانت تتسمى بالسلفية الوهابية في نجد أم جمعية الشبان المسلمين في تونس أم بسلفية علال الفاسي الجديدة في مراكش.

- (1) حسن الجلالي (1880-1966) من مواليد مدينة الجزائر. استقرت عائلته بتونس مع بداية الحماية (1881). تحصل على البكالوريا سنة 1898 بمعهد كرنو الفرنسي وأحرز على الإجازة في الحقوق سنة 1902. اشتغل بالسياسة وساهم بعد الحرب العالمية الأولى في تأسيس الحزب الحر الدستوري ثم انفصل عنه ليؤسس "الحزب الإصلاحية" سنة 1921: "نور الدين الدقي، حركة الشباب التونسي، تونس، المطبوعة الرسمية التونسية، 1999، ص 241.
- (2) محمد نعمان (ولد 1872). تلقى تكويننا عصريا في المدرسة العلوية في تونس ثم أحرز على الإجازة في الحقوق في فرنسا. بدأ حياته المهنية معلما في المدارس. مارس الكتابة الصحفية في الجرائد الاشتراكية. عرف بمواقفه المتشددة من الحماية فشملته الإجراءات الجزرية التي سلطت على عدد من وجوه حركة الشباب التونسي فجر يوم 13 مارس 1912: "الدقي، حركة الشباب التونسي، المرجع سالف الذكر، ص 252.
- (3) "الصادق الزمري (1885-1983) ولد في العاصمة حوالي سنة 1885. انتسب إلى الصادقية ولكنه لم يتم دراسته فيها. اشتغل سكرتيرا في مكتب الجلالي وساهم في تحرير صحيفتي "التونسي" و "الاتحاد الإسلامي": نور الدين الدقي، الحركة، مرجع سلف ذكره، ص 249.
- (4) "عبد العزيز الثعالبي (1876-1944) مفكر وزعيم مناضل ولد في تونس في 5 سبتمبر 1876 من أصل جزائري. تعلم في جامع الزيتونة. أصدر سنة 1895 جريدة "سبيل الرشاد". سافر إلى الشرق والى أوروبا وتعرف على عدد من السياسيين ورجال الإصلاح مثل محمد عبده ورشيد رضا. وقع إبعاده سنة 1912 اثر "حادثة الترامواي". سافر إلى فرنسا سنة 1919 للدفاع عن القضية التونسية. أوقفته السلطات الفرنسية وأحالتة على المحكمة العسكرية في تونس. سافر سنة 1923 إلى الشرق العربي ثم عاد إلى تونس يوم 9 جويلية 1937 وتوفي فيها في أكتوبر 1944: "الدقي، الحركة، صص 239-240.
- (5) "الحبيب جاء وحده (1901-1967) ولد في القيروان. تابع التعليم الثانوي في الصادقية ودرس في باريس الصيدلة والحقوق إلى غاية سنة 1930. لقب ب "الصيدلي الشاعر" لكثرة نظمه الشعر " (محمد علي بلحولة، الطبيب التونسي: رسالة ومواقف (1893-1993)، تونس، مطب. أوميكا، 1995، ص 237 وكذلك عادل بن يوسف، مقال "الصيدلي الشاعر الحبيب جاء وحده"، المجلة الصادقية، ع 18، أبريل 2000.
- (6) العبارة للمتنبسي.
- (7) علال الفاسي (1910-1974)، مفكر وسياسي مراكشي يعد من رؤوس "حزب الاستقلال" اجتهد في عدد من مؤلفاته في تعريف ما أطلق عليه اسم "السلفية الجديدة".

ومن يعرف الجزائري علي الحمامي(1) ، مجايل سليمان بن سليمان ، ويقرأ روايته "إدريس.رواية شمال افريقية" فسيؤكد مما نقول اذ نحن بإزاء "توأمين" فكريين سرياسيين:

مزاج متمرد على كل ما يرى فيه اعوجاجا دينيا أو سياسيا وفكرة عدالة اجتماعية راسخة وإسلام يتبرأ من كل معاداة لأتباع الديانات الأخرى ثم ، وهذا هو الأهم ، تفسير للظاهرة الدينية في القرن العشرين تفسيراً تاريخياً مادياً باعتبارها أيديولوجياً تخفياً ، في الحقيقة ، مصالح لا علاقة لها ، في حقيقة الأمر ، بالإسلام ولا بالمسيحية ولا باليهودية الأصلية. أفلم يصور سليمان بن سليمان المقيم الفرنسي العام "لوسيان سان" (2) الذي أسال ، في تونس ومروكش ، كثيرا من الحبر الإسلامي والوطني الواصف سياسته "المعادية للإسلام" في عبارات قليلة موجزة تكاد تلخص كل ما كتب الحمامي عنه أي عن سماه "سان لوشون" ؟ هذه العبارات البليغة الموجزة هي التالية:

" هو دبلوماسي حاذق وموزع منافع على رجال السياسة التونسيين. لقد كان هو أيضا كداس مال إذ سيغادر تونس وقد جمع ثروة ضخمة ستمكثه في فرنسا من العيش عيشة القصور" (3)

إنه لمن الصعب على المرء ، في نظرنا ، أن ينفذ ، إن لم يذهب هذا المذهب في التفسير ، إلى حقيقة ما أورده سليمان بن سليمان في "ذكرياته السياسية" عن فترة الدراسة في المدرسة الصادقية بين 1919 و1925 وخاصة في ما يتصل بمديرها "بيير بوللون" (4) وأساتذتها ، كل ذلك ضمن إشارات متناثرة إلى ما كان يجد في تونس أثناء حكم المقيمين العاميين "اتيين فلاندين" و "لوسيان سان" زمين البايين محمد الناصر ومحمد الحبيب (1922-1929) مما يتعلق بالتونسيين ابتداء من "الوطنيين" وانتهاء بـ "حزب فرنسا"

-
- (1) علي الحمامي الجزائري (1902-1949)، رواني جزائري ذو نزعة قومية مغربية. مات صحبة التونسي الحبيب ثامر والريفي المراكشي أمحمد أحمد بن عبود في حادث طائرة في سماء الباكستان. انظر عنه : جلييلة المودب " ثلاثة رموز فكرية سياسية مغربية: الحبيب ثامر (ت.1949) وعلي الحمامي(ت.1949) وامحمد أحمد بن عبود(ت.1949) رسالة ماجستير مودعة في كلية ع.ا.ا. (9أفريل)تونس ، 2006.
 - (2) لوسيان سان ، مقيم عام في تونس(1921-1929) خلف في الإقامة "اتيين فلاندين"(1918-1921).
 - (3) سليمان بن سليمان ، ذكريات سياسية ، مصدر سلف ذكره ، ص 25.
 - (4) بيير بوللون : مدير المدرسة الصادقية من 1912 إلى 1929. نور الدين سريب : المدرسة الصادقية في تونس 1875-1956(في الفرنسية) ، تونس ، منش. المتوسط ألف ، ص 141.

لقد طغت النزعة الاجتماعية في تفكير سليمان بن سليمان منذ هذه الفترة المبكرة من حياته إذ هو كثير الإصرار على بيان التقابل بين الريف الزغواني والعاصمة ومن ثم على بيان تعطشه ، باعتباره وليد منطقة تقع خارج منطقة "ضوء المدينة" إلى معرفة "المدينة" والسعي إلى ربط مصيره بمصير "المدنيين"

فمن مظاهر التقابل بين المدينة والريف أنه تمكن في سن الرابعة عشرة من الحصول على الشهادة الابتدائية وهو حدث كان له من القيمة اداك ما لا يتصوره من لم يعيشوا في هذه الفترة من دون أن يكون قد سمع حتى باسم المدرسة الصادقية:

" لم أسمع البتة ، حتى السداسي (الراسي) الأول من عام 1919 ، بالمدرسة الصادقية" (1)
وعندما اجتهد في الالتحاق بهذه المدرسة، وهو الذي ينتمي إلى عائلة غير موسرة ليس في إمكانها أن توفر له سكنا في العاصمة ، خاب مسعاه وبقي هذا الشعور غائرا في ذاكرته:
" تملكني شعور من تعرض للحكم عليه. وأحسست بتعاسة بالغة" (2)
وحتى عندما تمكن من الالتحاق بهذه المدرسة ستعتبر المنحة التي أسندت إليه منة أو شبه صدقة تقيد التلميذ إذ

"كان من الصعب علينا جدا نحن المتمتعين بمنحة كاملة لمدة ست سنوات أن نكثر من الاحتجاج" (3).
وفعلا فإن المدير "بوللون" لم يكن ينسى ، في كل مناسبة ، أن يذكر هؤلاء التلاميذ الفقراء بذلك:
" لاحظنا المدير "بوللون" أنه ينبغي علينا ، بوصفنا ممنوحين " ألا نكون متشددين في مطالبنا" (4)
إن هذا الإحساس بالحيف الاجتماعي سوف يذهب شيئا فشيئا بالشوق إلى المدينة الذي كان يمتلك هذا التلميذ الريفي وهو شوق كان قد بلغ قبل الالتحاق للدراسة في العاصمة من القوة حدا دفعه إلى تدوينه في "الذكريات":
" قررنا أن نجتاز هذا الامتحان حتى نقوم خاصة برحلة إلى تونس فقد كان في العاصمة الكثير مما تستحسنه العين ويستمرئه التذوق خاصة. لقد كان من هم أكبر منا سنا يروون لنا أشياء كثيرة. كانوا يحدثوننا عن "اكتشافاتهم". إن رحلة إلى تونس كانت بالنسبة إلي ، أنا المنحدر من عائلة متواضعة أملا بعيدا. وها أن المشاركة في هذه المناظرة تتيح لي إمكان تحقيق هذا الأمل" (5).

(1) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، مصدر سلف ذكره ، ص 20.

(2) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 20.

(3) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 23.

(4) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 23.

(5) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 21.

هذه المدينة انكشفت حقيقتها في عيني الشاب سليمان بن سليمان فاذا هي حتى على المستوى الدراسي فريسة الفرنسيين وشيعتهم من التونسيين ممثلين في الثنائي المدير "بوللون" والأستاذ التونسي محمد الصالح مزالي(1). فما هي الصورة التي رسمها سليمان بن سليمان في "الذكريات السياسية" لكل من "بوللون" ومزالي؟

إن "بيير بوللون" هو ثاني الإطارات التعليمية الفرنسية المشرفة على المدرسة الصادقية بعد "ماريوس دلماس" (2) الذي عينته سلط الحماية بداية من 1892 للإشراف عليها والتصرف في أموالها (3). كتب أحمد عبد السلام :

" خلف دلماس (في إدارة المدرسة) مساعده ومراقب الدروس أيام إدارته "بيير بوللون" الذي تولى إدارة المدرسة من عام 1912 إلى 1927" (4).

لقد كان "بوللون" نموذجا للمدرس التقليدي انضباطا وصرامة. وقد وصفه سليمان بن سليمان على النحو التالي:

"كان المدير بوللون رجلا يبعث وجهه وهيئته النسكية على الرهبة" (5)

ويبدو من وصف سليمان بن سليمان المدير "بوللون" أن رجل التعليم هذا كان ذا حضور قوي على الرغم من أنه لم يكن يظهر في ساحة المدرسة إلا زمن إعلان النتائج. ولقد أثرت هذه الشخصية في سليمان بن سليمان التلميذ مثله في ذلك مثل بقية التلاميذ (6) فتوجم هذا التأثير كتابة في ذكرياته السياسية واصفا لقاءات "بوللون" بالتلاميذ كما يلي:

"خيم صمت مذهل على التلاميذ إلى درجة سمعنا فيها صوت الذباب وهو يطير كما يقال في حالات مماثلة. كان "بوللون" يفرض (هذا الصمت) نظرا إلى هيئته الصارمــــــــــــــــة وشــــــــــــــــبهه

(1) محمد الصالح مزالي (1896-1988). درس في الصادقية ثم في معهد "كرونو" ومنه أحرز على شهادة البكالوريا. واصل تعليمه العالي في فرنسا وتحصل على الدكتوراه في الحقوق والعلوم الاقتصادية. عمل بعد التخرج في الإدارة التونسية وشغل عدة مناصب سامية في عهد الحماية الفرنسية. كتب المقالة والدراسة التاريخية والمذكرات في العربية والفرنسية خاصة. ويذكر م ص مزالي في مذكراته "أيام حياتي" (بالفرنسية). والتعريب لصاحب المقال وهو ضعيف لأنه سريع) أنه هو الذي وضع أثناء وزارته حجر أساس كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية الحالية في تونس "حمادي الساحلي، المجلة الصادقية، ع 20، أكتوبر 2000، ص 580.

(2) "ماريوس دلماس (1892-1912) أول إطار فرنسي يترأس إدارة المدرسة الصادقية. كان أحد أساتذتها الفرنسيين. وهو مستشرق ممن عاشوا بالجزائر" أحمد عبد السلام، المدرسة الصادقية والصادقيون، قرطاج، بيت الحكمة، 1994، ص 35.

(3) أحمد عبد السلام، المدرسة الصادقية، مرجع سلف ذكره، ص 30.

(4) أحمد عبد السلام، المدرسة الصادقية، ص 49.

(5) سليمان بن سليمان، ذكريات سياسية، مصدر سلف ذكره، ص 29.

(6) رفاق سليمان بن سليمان الداخلين في الدراسة في الصادقية (1920-1921): عبد الحميد النابلسي- عبد القادر بعطون - محمد سليم-

أحمد صمعيــــــــة- أحمد الجريــــــــي- سالم بوقره - علي كريم- محمد بن هندة - مصطفى خزندار- أحمد صفر- محمد علي العنابي- محمد الخدري - مصطفى بفسون - محمد القرمازي - محمد مليكة- الصغير العياري- الصادق خليل - الصادق الزميتي- علي كمون- إدريس معمور - جلولي فارس- محمد صالح عاكف - عبد الرزاق خفشة-.. الباجي - البشير المزطوري -... العياشي. بابا خليفة - مختار شقرون- الطاهر صفر- محمد العابد مزالي- المنوبي بن بشير - إبراهيم المشري- سليمان بن سليمان - الصادق بوصفارة - عبد السلام المستيري - الطاهر بن رجب- محمد فرشيــــــــو- محجوب بن رجب - محمود عبد المولى- الكيلاني جويــــــــدة - جلول بن شريفــــــــة- محمود العرابي- البحري قيقــــــــة- أحمد المــــــــليح- محمد المعراوي .(المصدر: من صورة في "الطاهر صفر (1903-1942) ل خالد عبيد، المعهد ع. لتاريخ الحركة الوطنية ، 2003.) .

ب "كليمنصو" (1) وقلّة اتصاله بالتلاميذ" (2).

إن الصورة الصارمة التي رسمها ابن سليمان لـ "بوللون" إنما تعكس ، في حقيقة الأمر ، نظاما تعليميا فرنسيا كاملا قوامه الانضباط والإيمان بدور التعليم في نهضة الأمم . وليس تهم ، هنا ، الإشارة إلى أن الغرض من حصر تعليم التونسيين في حدود اجتماعية ضيقة هو ضمان إنتاج جيل من التونسيين يطبق أوامر السلط الفرنسية ويحقق رغباتها فهذا أمر معهود في كل استعمار . والحقيقة هي أن "بوللون" لم يكن، على الرغم مما كان يبدو عليه من صرامة ، فاقدا للحس "البيداغوجي" بل "النفسي". وهذا الأمر خبره سليمان بن سليمان وأعجب به.

لقد درج عدد من الدراسات على أن ينسب إلى المدير "بوللون" ، وهو الموظف في مدرسة ثانوية لا تصل بتلاميذها إلى مستوى البكالوريا في محمية من المحميات الفرنسية ، ما لا يصح أن ينسب إلا إلى كبار ساسة الجمهورية الثالثة في فرنسا بل في باريس. ومن هذه الدراسات دراسة أحمد عبد السلام الذي حمل "بوللون" ما لا يمكن أن يتحمل:

"كان يولون حتى سنة 1927 ، زمن خروجه في التقاعد المبكر ، يرفض كل تطوير في المعهد الصادقي سواء أكان في عدد التلاميذ أم في برامج الدراسة أم في فتح الآفاق المستقبلية التي كان يمكن أن يطمح إليها التلاميذ" (3).

إن سلطة الحماية التي كان عليها أن تطبق سياسة الجمهورية الثالثة لم تكن ترغب في أن يصبح عدد كبير من أبناء التونسيين أطباء ومحامين ومهندسين أي يمتنون هذه "المهن النبيلة" أي مهن الطبقة الوسطى لذلك جعلت من الصادقية مؤسسة تزودها بالمتخرجين ومفتشي الشرطة (4) يأترون بأمرها ويطبقون أوامرها.

ولقد تفتنت الطبقة المثقفة في تونس إلى هذا الأمر وخاصة منها الصحافيين الذين عبروا عن استيائهم في مقالات تصدرت أعمدة المجلات والجرائد. ومن بين هؤلاء الصحافيين نجد

1) جورج كليمنصو (1841-1929) "سياسي فرنسي داهية عرف بلقب "النمر" شغل منصب رئيس وزراء فرنسا (1906-1909) و(1917-1919). من أبرز مؤلفاته نذكر ترجمته إلى الفرنسية كتاب "أوغست كونت والايجابية" للمفكر الانكليزي "جون ستيوارت مل" و "في سماء الفكر" و "على مر الأيام"... وكان منكباً على كتابة مذكراته "أمجاد النصر والأمة" عندما توفي. وقد دفن نعشه عموديا لأنه أوصى بقوله "حتى في مماتي أود أن أبقى واقفا" (محمد بودينة، أحداث العالم في القرن العشرين، تونس ، منش محمد بودينة، مج 1920-1929).

2) سليمان بن سليمان ، ذكريات سياسية ، ص. 36

3) أحمد عبد السلام ، الصادقية والصادقيون (في الفرنسية) ، تونس ، سيريس للإنتاج ، 1975 ، ص. 56

4) بقدر ما رأينا الكتاب التونسيين يولفون كتباً تؤرخ للأدباء وللصحافيين وللأطباء.. لم نر كتاباً واحداً يؤرخ لـ.. الشرطة ولحكام التحقيق وفي القوم أساطين. فيماذا نفسر هذا "الحييف" ؟

فرحات الجعاببي (1) يخص المدرسة الصادقية بجانب غير هين من اهتماماته اذ كتب في هذا الموضوع العديد من المقالات في أعمدة جريدته "الصواب" منها ما كتب في نقد مديرها، وهو نقد لا نظن إلا أنه متحيز لأنه ، ببساطة ، يستند إلى مصدر " قيل إنه قال":

" على أن جناب المدير (بوللون) له تأثير كبير في هذا التأخير. فقد قيل إنه قال لبعض الأساتذة: ليس القصد من تعليم أبناء المسلمين أن يخرج منهم كيميائيون أو طبيعويون أو اختصاصيون في فن الحساب ولكن مرادنا أن نجعل منهم طائفة لدولة مدبذبة تعيش مرووسة تحت نير رؤساء من الأفرنسيين" (2)

والحقيقة هي أن تحفظنا إزاء الكثير مما كتب عن المدير "بوللون" يبرره أن سليمان بن سليمان الذي يهمننا في هذه الدراسة الابتدائية الموجزة ، لا يذهب مذهب القوم في تقييم "بوللون" وإدارته والأساتذة الفرنسيين إيماناً منه ب"أن التعميم هو لغة الحمقى" لأنه لمس ، بالتجربة، أنه يوجد من بين الأساتذة الفرنسيين تقدميون مثلما يوجد من بين الأساتذة التونسيين من هم " أكثر ملكية من الملكة الفرنسية" نفسها.

نلاحظ ، ادن ، أن المدير "بوللون" شخصية أسالت الكثير من الحبر وتعرضت للكثير من اللوم ف" لم يسلم مدير المعهد بولون من الانتقادات التي كانت في بعض الأحيان انتقادات لأذعة" (3) وهي انتقادات تناولت

مختلف مناهج التعليم في المدرسة الصادقية كما تناولت مآل الموارد المالية التي أوقفها المشير الثالث محمد الصادق بأي (4) للارتقاء بهذه المؤسسة التعليمية وإعداد التلاميذ للدخول إلى كليات أوروبا ، وهو ما سعت إدارة الحماية إلى الحول دونه من خلال تحويل أهداف هذه المدرسة لتصبح " مدرسة للترجمة لتجني

منها ما تريده وتهواه من المترجمين الدين لا يمكن للحكومة الاستغناء عنهم نظراً لشكلها الحالي" (5). هذا فيما يخص نظرة سليمان بن سليمان إلى مدير المدرسة "بيير بوللون" الفرنسي والراديكالي والماسوني جميعاً. فما هي ياترى نظرته إلى بعض "أبناء جلدته" من الأساتذة التونسيين ؟

يعد الأساتذة الدين التحقوا بسلك التعليم، شغفا لا صدفة، قاطرة حضارية حقيقية .فهم الدين يضطلعون مبدئياً بدور تنمية وعي تلاميذهم العام. ويتضاعف هذا الدور في الظروف التاريخية التي تهيمن فيها قوى استعمارية فيصبح

1) محمد بن فرحات الجعاببي "نشأ في إطار سياسي استعماري. ولد بتونس قبل فترة قصيرة من انتصاب الحماية حوالي 1880 حسب البعض وحوالي 1876 حسب أرشيف الحكومة. زاول تعلمه بالكتاب القرآني ثم بجامعة الزيتونة ولم يتخرج منه بأية شهادة. تعلم صناعة نسج الحرير كما تعاطى التجارة. كانت بدايته الصحفية عام 1904. يعتبر من أكبر الصحفيين الدين عرفتهم تونس" (محمد حمدان ، أعلام الإعلام في تونس 1860-1956 ، تونس ، مركز التوثيق الوطني ، صص 62-65.

2) الصواب عدد 303 ، 14 ماي 1920.

3) نور الدين سرييب ، المعهد الصادقي في تونس ، مرجع سلف ذكره ، ص 143.

4) محمد الصادق باي (1859-1882) "ولد يوم 7 فيفري 1813 واعلى العرش وعمره 46 سنة. أدخلت في عهده العديد من الإصلاحات مثل إنشاء المطبعة الرسمية سنة 1860 و "الرائد الرسمي" وإدخال التلغراف وتعميم استعماله وإصدار دستور 1861... وتواصل هذا المجهود وتدعم عندما تولى خير الدين الوزارة الكبرى بين 1873 و 1877 فأنشئت "المدرسة الصادقية ونظم التعليم الزيتوني وبعثت جمعية الأوقاف إلا أن هذه الإصلاحات لم تكن كافية لانقاذ البلاد من الأزمة الاقتصادية... مما أدى سنة 1869 إلى إفلاس الدولة الحسينية.. أمضى يوم 12 ماي سنة 1881 "بالقصر السعيد" ...معاهدة الحماية . وتوفي يوم 28 أكتوبر 1882 (نور الدين الدقي وعبد المجيد كريم والهادي جلاب : تنظيم الحكم في تونس في فترة الحماية الفرنسية 1881-1956 ، تونس ، منش المعهد العلي لتاريخ الحركة الوطنية ، 1998 ، ص 183.

5) محمد الجعاببي ، مقال "معاهد التعليم (6) ، جريدة الصواب ، ع 303 ، 8 أكتوبر 1920.

الأهالي خاضعين لسلطة خارجية تقوم بنهب خيرات بلادهم وتشويه تاريخهم ، فيتحول إلى دور وطني وبدلك يتخطى الأستاذ المهام التي خص بها حتى اذا ما شد أحد هؤلاء الأساتذة عن هذا الالتزام الوطني رأيت أن هذا الشدود كثيرا ما يلاحظه أكثر التلاميذ حسا وطنيا بحكم العلاقة الحميمة التي تربط الأستاذ ، شاء ذلك أم أبى ، بالتلاميذ.

لقد علق سليمان بن سليمان ، شأنه في ذلك شأن كثير من أصدقائه التلاميذ ، آمالا على أساتذتهم التونسيين وأراد أن يكون لهم الفضل في تنمية فكره الوطني لكنه سرعان ما أصيب بخيبة أمل عند دراسته على أستاذه التونسي محمد الصالح المزالي (وهذا اللقب بربري اذ توجد قبائل لكاملة شمال مراكش تحمله :أمزال) الذي يصفه سليمان بن سليمان في كتابه "ذكريات سياسية" وبلغته المباشرة العارية من المجاملة بأنه وقع فريسة لنظام الحماية فهو عنده " مثقف فاقده الشخصية مخلص لنظام الحماية الذي دله كثيرا"(1) بل إن سليمان بن سليمان لجأ إلى ما يشبه الرسم الكاريكاتوري في وصف أستاذ التشريع في المدرسة الصادقية من خلال عرض قصة تحقيق في صفوف التلاميذ "المشاعبين":

" وعندما وصل "تريمسال" (المحقق وهو موظف سام في إدارة التعليم) إلى (التلميذ) العابد مزالي (2) عمد (الأستاذ) محمد الصالح مزالي، خلف ظهر كل من ترمسال و بولون ، إلى الهمس في اتجاه العابد: قل نعم . قل نعم. لقد كان المشهد ، حقا ، مشهدا ساخرا"(3).

كان تصوير سليمان بن سليمان أستاذه محمد الصالح مزالي بهذه الملامح النفسية السياسية نابعا من وعيه وجوب فضح الجناح الموالي لسلطة الحماية ضمن الفئة الصغيرة المثقفة من المجتمع التونسي وهي فئة اندماجية تشبه إلى حد كبير تيار طالب الصيدلة الجزائري فرحات عباس(4) اذ حصرت مطالبها في ضرورة ارتقائها وارتقاء من تمثل طبقيا بالمعنى الماركسي للكلمة إلى المناصب على حساب "شعب" كامل ، فئة أصبحت موالية للفرنسيين على حساب أبناء بلادها تساعدهم في تحقيق مآربهم إما عن قصد مضمهر سلفا وإما نتيجة قصر نظر كان على الدوام سمة " الأساتذة الزنابير" في كل مكان. ولقد كتب ، نظرا إلى خطورة هذا الأمر ، عدد من الصحفيين في أعمدة الجرائد مقالات عن هذه الفئة فنحن نجد على سبيل المثال ،محمد الجعانبى يكتب في إحدى مقالاته لانما أمثال هؤلاء الأساتذة :

(1) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 37
(2) محمد العابد مزالي(1906-1997)" أحد رجال التربية والتعليم. ولد بالمنستير.. تخرج من جامعة الصور بون بباريس. تولى عدة مناصب حكومية منها كاهية مدير العلوم والمعارف و كاتب عام وزارة التربية القومية .استقال في بداية الستينات من مهامه في وزارة التربية القومية وعين من طرف اليونسكو خبيرا دوليا مختصا في شؤون التربية والتعليم فاستقر في سويسرا إلى أن انتهت مهمته لدى هذه المنظمة. وعندئذ عاد إلى تونس وتفرغ للبحث والتأليف"(محمد بودينة ، مشاهير التونسيين ، ط.3 ، 2001).
(3) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 37
(4) فرحات عباس (1899-1985)" سياسي ورجل دولة جزائري. ترأس أثناء حرب التحرير الوطني الجزائري الحكومة المؤقتة بعد أن كان في السابق من أنصار الاندماج مع فرنسا. ولد في طاهر بمنطقة القسنطينة(كدا) من عائلة بوجوازية. حصل على ثقافة فرنسية. تحصل في عام 1933 على الإجازة (كدا) في الصيدلة كما كان قد أنهى خدمته العسكرية في الجيش الفرنسي. وقد أنشأ في سطيف صيدلية وفي الوقت نفسه انطلق في الميدان السياسي. كتب العديد من المقالات الصحفية كما أنشأ مجلتين أسبوعيتين "التفاهم" و "المساواة". أصدر في عام 1926 (كدا) كتابا بعنوان "الشباب الجزائري" ضم مجموعة من مقالاته التي تدعو إلى مستقبل جزائري فرنسي مشترك كما أصدر في عام 1962 "ليل الاستعمار" وفي عام 1984 "الاستقلال المصادر"(بالفرنسية): موسوعة السياسة ، بيروت ، المؤسسة الع. للدر. والنشر ، ط.3 ، 1990.

" هذا ما للأساتذة من التواني والتثاقل ونزوعهم إلى إغفال نصح تلاميذهم فكانوا ، سامحهم الله ، مدفوعين إلى هذا الصنيع بقوة خفية. لذلك تراهم يقضون معظم أوقاتهم في السفاسف والقشور والتلفيقات وما لا يفيد ولا يجدي "(1).

أحدث وقوع عدد من الأساتذة التونسيين " الصادقيين الكرويين " ممثلين في محمد الصالح المزالي في مخالف السلط الاستعمارية رجة في نفس سليمان بن سليمان ، هذا التلميذ الصادقي المتحفز وطنيا وتعمقت خيبته في أستاذه خاصة عندما قارن تصرفات هذا المدرس التونسي الذي سيضطلع فيما بعد بمهام سياسية وصلت إلى حد تولي رئاسة وزارة ستقع الإطاحة بها سنة 1954 ، بتصرف أستاذه الفرنسي "لسكان" أستاذ اللغة العربية في المدرسة إزاء تلاميذه عندما قرر المدير "بوللون" معاقبة عدد منهم معاقبة "وطنية" تتمثل في إجبارهم على المشاركة في الاحتفال ب"زيارة" رئيس فرنسا "الكسندر ميلليان" تونس سنة 1922 إذ قام الأستاذ "لسكان" بتشجيع تلاميذه عند مرورهم أمام المنصة التي كان يجلس خلفها فانتصر لهم بمثل هذا السلوك الذي كان له وقع في نفوسهم في هذه السن الحساسة التي تتأثر حتى بما قد يبدو تافها عندما يكبر المرء وتنال منه السنون بدليل ما ترسب في ذاكرة سليمان بن سليمان من ذكريات عن هذا الاحتفال. أفلم يكن الأجدر بأستاذه التونسي أن يناصر هؤلاء التلاميذ بدلا من الانتصار لخصومهم؟

إن تناول سليمان بن سليمان شخصيتي كل من مدير المدرسة الصادقية "بوللون" وأستاذ التشريع محمد الصالح المزالي بالتحليل إنما يعني ، في حقيقة الأمر ، أنه يعتبرهما مثالين على أزمة حقيقية كانت تعيشها تونس (وهنا فقط يمكننا أن نعمم من دون خشية اتهام فنقول إنها أزمة مغربية بل عربية) في منتصف العقد الثالث من القرن العشرين ذلك أن هذا البلد لم يكن ، مثلما تدعيه المعاهد العليا للحركات الوطنية ، يعيش خصومة بين طرفين لا يلتقيان هما فرنسا الحامية من ناحية وتونس المحمية من ناحية ثانية وإنما كان يوجد في الطرف المحمي من فضل أن يكون نصيرا للطرف الحامي مثلما كان يوجد في الطرف الحامي من فضل أن يكون نصيرا للطرف المحمي. وهذا أمر تفرضه الطبيعة ذاتها إذ هي لا تعرف السواد المطلق والبياض المطلق ومن لم يجار الطبيعة وهو في نهاية الأمر جزء منها ، في منطقتها فهو يعمد ، إما جهلا أو كذبا على نفسه أو على الناس ، إلى منطق "التعميم" و " ما التعميم إلا لغة الحمقى".

ولسوف تؤثر هذه التجربة المبكرة في نفس سليمان بن سليمان وفي تكوينه السياسي اللاحق أيما تأثير إذ سنراه دائما في ما بعد لا يتحدث عن الأجنحة الوطنية في تونس وفي غيرها إلا بربطها بالمصالح وبمدى اتساع رقعة هذه المصالح أي بمدى شمولها أوسع الفئات الاجتماعية. ومن يع هذا الأمر فقد حصن نفسه نهائيا ضد كل أشكال الايدولوجيا ومنها الايدولوجيا الوطنية التي لا تتبنى فكرة العدالة الاجتماعية (لا الإحسان) باعتبارها الغاية (الجينة) الحقيقية من كل مطلب استقلالي.

(1) محمد الجعايي ، مقال "المدرسة الصادقية(5) ، جريدة الصواب ، ع 303 ، 14 ماي 1920

سليمان بن سليمان
(5 ديسمبر 1905-26 فيفري 1986)

الحلقة الثانية الأخيرة :

سليمان بن سليمان تلميذا ثم طالب طب في فرنسا
(1925 - 1936)

بقلم : محمد الناصر النفزاوي .

كانت المدارس الثانوية في الايالة التونسية لا تمكن التلميذ التونسي ، إن دخلها، من الحصول على شهادة البكالوريا إلا إذا تمكن من الدراسة في معهد "كرونو"(1). ونظرا إلى أهمية هذا المعهد فقد كان يشترط شروطا صارمة على كل من أراد الالتحاق به ومزاولة الدروس فيه باعتباره المعهد الوحيد الذي كان يخول تلاميذه العبور إلى الجامعات الفرنسية. كان معهد كرونو لا يقبل من أبناء التونسيين سوى المتفوقين منهم لأنه يعتمد في التدريس البرامج الفرنسية أساسا واللغة الفرنسية. و هذه البرامج، نظرة إلى الأشياء، على النقيض تماما من البرامج التي كانت تدرس، على سبيل المثال، في "الزيتونة". ونحن نورد هنا، دفعا لكل جدال عقيم، ما أورده محمد النافع (2) في الموضوع لأن قداماء تلاميذ هذا المعهد أعرف من غيرهم بشعابه:

" اكتشفت، بكل سرور، منذ الأسبوع الأول (من بداية دراستي في معهد كرونو سنة 1931) أنهم (يقصد

(1) "معهد كرونو. كان يشتمل على فرع ابتدائي وأقسام ثانوية بما فيها الأقسام النهائية للبكالوريا. كان يعرف باسم مدرسة القديس شارل التي كان قد أسسها بقرطاج الكاردينال لافيغري سنة 1880 قبل انتصاب الحماية و كان أساسا معهدا دينيا . وفي سنة 1882 نقل إلى تونس وأصبح يعرف باسم القديس شارل ثم ألحق بالمعاهد العمومية سنة 1889 وسمي ب"الليسي كرونو" بعد اغتيال رئيس الجمهورية الفرنسية كرونو سنة 1894. (عادل بن يوسف، "الطلبة التونسيون بفرنسا في فترة ما بين الحربين: ملامحهم العامة وظروف عيشهم" شهادة كفاءة في البحث مودعة في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية في تونس ، (غ.م.) ص 8.

(2) محمد النافع (1917-2007): ولد في جندوبة(أولاد سعيد)في 28 أوت 1917 وتوفي في قرطاج في 17 أكتوبر 2007. تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة العربية-الفرنسية (فرتكو-أراب) والثانوي في معهد كرونو. ونظر إلى وضعه الاجتماعي فقد احتضنته الجمعية الخيرية الإسلامية طيلة دراسته الثانوية(1931-1939). درس مادة الفرنسية في المعهد الصادقي سنة 1939-1940 قبل أن يلتحق بجامعة الجزائر سنة 1940-1941 ليحصل فيها على الإجازة(كلية الآداب. قسم اللاتينية والإغريقية) فيعود إلى تونس للتدريس في تونس العاصمة وسوسة وصفاقس التي انخرط فيها في الحزب الشيوعي التونسي الذي طلب منه سنة 1945 العودة إلى العاصمة. وقد خلف سنة 1948 الزيتوني القديم الكاتب العام للحزب الشيوعي التونسي علي جراد وبقي على نشاطه العلني(1956-1963) ثم السري عندما حضر بورقيبة الحزب الشيوعي(1963-1981) ليخلفه بداية من 1981 محمد حرمّل.

الأساتذة الفرنسيين) لا يميزون بين تلاميذهم (...). ولقد ساهم هذا الاكتشاف ، يقينا، في تحرير من عدد لا بأس به من الأفكار المسبقة (...). لقد ساهم الذين درسوا الأدب والتاريخ ، بوجه خاص ، مساهمة كبيرة في اطلاعنا على أفضل ما في الثقافة الفرنسية وفي تدريبنا على مطالعة كتب أفضل الشعراء والكتاب وكذلك على التعرف على الأفكار الأكثر تقدما وهي أفكار توسع فيها مفكرون وعلماء من قرن "الأنوار" خاصة أي القرن الثامن عشر. وهكذا وسعت ، عاما بعد عام، من معارفنا ورأيت آفاقا جديدة تنفتح أمامي. ذلك أن التعليم المغدق في الميادين الأكثر تنوعا كان، لامتياز، يشد، على مر الأيام، حسي النقدي ويعلمني استخدام العقل الحر (في تفحص الأشياء). (1)

كما أن مشكلة السكن مثلت عائقا أمام التلاميذ بسبب عدم وجود مبيت في هذا المعهد. وهذان الأمران أي محتوى التعليم في الفرنسية والوضع المادي يفسران قلة عدد التلاميذ التونسيين (والبلد كان يعد مليوني ساكن تقريبا) الذين التحقوا بهذا المعهد إذ لم ينتسب منهم إليه سوى 49 تلميذا سنة 1918 و 58 تلميذا سنة 1919 (من بينهم سليمان بن سليمان) مقارنة بعدد التلاميذ الفرنسيين واليهود الذي كان يفوق الخمس مائة تلميذ في الفترة نفسها" (2).

أما المدرسة الصادقية فأقصى ما كانت تتيحه لتلاميذها هو تمكين المتفوقين منهم من الالتحاق بهذا المعهد مثلما كانت تمكنهم من الإقامة في المدرسة كما كانت ترسل كل سنة أول المتفوقين ترتيبا إلى فرنسا يقيم فيها شهرا كاملا برفقة أحد أساتذة المدرسة.

ولكنه ، وبالرغم من أن التلميذ سليمان بن سليمان تحصل في المدرسة الصادقية على الرتبة الأولى في الامتحانات النهائية ، لم يحظ بهذه الامتيازات. وسبب هذا الحرمان هو أن سليمان بن سليمان كان يعتبر عنصرا مشاغبا في نظر مدير المدرسة "بوللون" لمشاركته في الإضرابات المدرسية التي تكاثرت آنذاك. ولقد عبر سليمان بن سليمان عن شعوره بهذا الحرمان في عبارة تحتل أكثر من معنى: " لم يكن في وسع بوللون أن يكافئ ابن سليمان" (3).

لقد حز في نفس هذا الشاب التونسي "الأفاقي" المتفوق أن يحرم من مواصلة تعلمه في معهد كرنو وهو الأجدر بهذا التعلم والأحوج إليه بسبب وضعه الاجتماعي إذ "الميزة الأخرى الأكثر أهمية

(1) محمد النافع ، كان ذات مرة.. شاب متمرد (بالفرنسية) تونس ، المغرب للنشر ، 2000 ، صص 40-41.

(2) عادل بن يوسف ، الطلبة التونسيون في فرنسا ، مرجع سبق ذكره ، ص 8.

(3) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 38.

تتمثل في (أن هذا القبول) يتيح لي إمكان مواصلة دراستي في معهد كرنو لإعداد شهادة البكالوريا والسكن في الوقت نفسه في المدرسة الصادقية بصفتي تلميذا داخليا" (1) حرم ، إذن ، سليمان بن سليمان من حقه المبدئي في الالتحاق بمعهد كرنو والحصول منه على شهادة البكالوريا التي تخوله الالتحاق بجامعات فرنسا أو ، إن رغب في ذلك، بجامعة الجزائر(2). لقد كان طموح هذا الشاب التونسي يتجاوز مجرد الحصول على وظيفة إدارية متواضعة تخضع، على تواضعها، لسلطة الحماية التي كانت تسيّر أمور البلاد كيفما يروق لها. وبما أن سليمان بن سليمان كان يرفض أن يطبق ما تملّيه هذه السلطة من ناحية وكان ، من ناحية ثانية، مدفوعا إلى أن يشرب الحضارة الغربية في وجهها الفرنسي من منابعها الأصلية لا عبر "قنوات صدئة" فقد قرر أن يتم دراسته بطريقة أخرى فيها من الصعوبة والمشقة الكثير. هذه الطريقة هي السفر إلى فرنسا ليعمل ويتعلم في آن واحد.

لقد اتخذ سليمان بن سليمان هذا القرار بعد فترة تساؤل وحيرة عبر عنهما على النحو التالي:
" ما السبيل إلى مواصلة دراستي ؟ إن هذا الأمر ممكن ولكن ليس في تونس. ذلك أن موقفي من إدارة المدرسة الصادقية لا يسمح لي بمتابعة الدروس في معهد كرنو والأكل والمبيت في المدرسة الصادقية مثلما كان الشأن بالنسبة إلى أفضل التلاميذ الذين أنهوا دراستهم في المدرسة الصادقية" (3) ولقد بعث ، سعيا منه إلى تحقيق هذا الهدف، بالعديد من الرسائل إلى المدارس المهنية في فرنسا بحثا عن عمل يمكنه من تغطية تكاليف تعليمه ومعيشته فهذا المسلك سبق أن سلكه عدد من التلاميذ التونسيين المعوزين ودأبوا عليه عند تعذر الدراسة في معهد كرنو لأنه كان السبيل الوحيدة المتبقية للحصول على البكالوريا ومن بعدها الشهادة العالية من إحدى جامعات فرنسا. إن هذا هو السبب الأصلي في سفر سليمان بن سليمان إلى فرنسا واشتغاله قيما في مدرسة مهنية في الوقت الذي كان فيه يواصل دراسته الثانوية لنيل شهادة البكالوريا التي تمكنه من دراسة الطب ثم امتحان عمل حر يضمن له مجالا مقبولا من الحرية.

(1) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 38

(2) أغلب من أرخوا للطلبة الشمال أفريقيين حصروهم في من درس منهم في فرنسا والحال أن جامعة الجزائر ضمت عددا من هؤلاء ففرحات عباس ، على سبيل المثال تخرج من جامعة الجزائر شأنه في ذلك شأن محمد النافع التونسي .

(3) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 41.

ذكر سليمان بن سليمان في كتابه "ذكريات سياسية" في الجزء المتعلق بمرحلة دراسته في معهد "فليكس فور" في "بوفي" أن الدوافع التي حفزته على إتمام دراسته في فرنسا لنيل الشهادة الثانوية، البكالوريا بجزأيتها، ومن ثم الدراسة لنيل الشهادة الجامعية تنقسم إلى دافعين أساسيين متلازمين يتخللهما دافع سبق أن أشرنا إليه عرضاً:

الدافع الأول هو شعوره بالحييف الاجتماعي الذي تمثل في حرمانه من مواصلة تعليمه والحصول ، في بلده، على شهادة البكالوريا في الليسي كرنو. وفي هذا الغرض كتب في ص 49:

"ألزمت نفسي بمواصلة دراستي الثانوية ثم العالية بغية الإفلات من الوظيفة العمومية واكتساب مهنة حرة".

أما الدافع الثاني، وهو وثيق الصلة بالدافع الأول ، فيتمثل في أن سليمان بن سليمان أحس بأن الدخول في النظام الوظيفي ، زمن الاستعمار، يؤثر في صلابة انتماء المرء الوطني وقد يحوله إلى أداة تحركها سلطة الحماية كيفما تشاء نظراً إلى أن هذا النظام الوظيفي تخضع له كل المناصب وترجع إليه بالنظر في كل الأمور. وحتى يحقق سليمان بن سليمان لنفسه قدراً من الاستقلال عن نظام الحماية يمكن من العمل النضالي فيما بعد ، اختار توجيهها دراسياً يفتح على مهنة حرة تمكنه من النضال. ومن هنا كان لسفر سليمان بن سليمان إلى فرنسا غايتان متلازمتان، تتخللهما غاية سبق أن أشرنا إليها عرضاً، حددهما على النحو التالي :

" السفر إلى فرنسا للاطلاع على عالم آخر وخاصة مواصلة دراسة تمكيني من اكتساب مهنة حرة تسمح لي بالنضال الوطني ضد الحماية".

ومنذ ذلك الحين بدأت ثقافة سليمان بن سليمان السياسية تتسع باطراد من خلال انخراطه في العمل ضمن جمعيتين شمال أفريقيتين في فرنسا هما "نجم شمال أفريقيا" أولاً وجمعية " الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في فرنسا" ثانياً.

كتب حمادي الساحلي في ما يتصل بنشاط سليمان بن سليمان في الجمعية الأولى:

"انخرط (سليمان بن سليمان) منذ قدومه إلى باريس في جمعية نجم شمال أفريقيا التي أنشأها جمع من العمال الجزائريين والمغاربة في سنة 1926 برئاسة المناضل الشيوعي عبد القادر بن الحاج (2) " (3)

(1) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 42.

(2) عبد القادر بن الحاج علي هو الذي أشرف على تكوين مصالي الحاج تكويناً "مادياً تاريخياً" قبل أن يرأس جمعية النجم .

(3) حمادي الساحلي ، الدكتور سليمان بن سليمان ونضاله من أجل الاستقلال والسلم والديمقراطية ، المجلة الصادقية ، سلسلة جديدة ، العدد 13 ، أبريل 1999 ، ص 35.

أما الجمعية الشمال أفريقية الثانية التي نشط سليمان بن سليمان ضمن أقلية طلابية تونسية "مشاغبة" فيها فهي جمعية "الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في فرنسا" التي تأسست سنة 1927. (1) تعد سنة 1927 سنة هامة في حياة سليمان بن سليمان ففيها ، أي في شهر جوان ، تحصل على الجزء الأول من شهادة البكالوريا بملاحظة "قريب من الحسن" وذلك بعد أن أجتاز الاختبارات الكتابية في معهد "سان لويس" والاختبارات الشفاهية في باريس.

كان سليمان بن سليمان متفوقا في دراسته الثانوية حتى في فرنسا على الرغم من الظروف القاسية التي مر بها مواصلا بذلك تحصيل الجوائز اعترافا بانضباطه وتفوقه:

"حصلت نهاية السنة الدراسية (1926-1927) على جائزة الامتياز في قسمي. كان يوم توزيع الجوائز يوم شغل بالنسبة إلي في "المدرسة المهنية" فعوضني في حفل توزيع الجوائز "تعويضا أمثل" السيد "لوبري"، مدير المؤسسة التي أشتغل فيها. وقد عاد من الاحتفال حاملا معه كمية من الكتب الثمينة ومنها ، خاصة ، سلسلة "لامرتين" (2).

تعذرت على سليمان بن سليمان ، بعد حصوله على الجزء الأول من البكالوريا ، مواصلة العمل والدراسة في "بوفي" نتيجة رفضه طلب مدير المدرسة التي يشتغل فيها الإشراف على ميتين اثنين في آن واحد فقرر العمل في مدرسة أخرى ، وهو أمر لم يكن بالعسير نظرا إلى العلاقات المتعددة التي ربطته أثناء هذه الفترة القصيرة من إقامته في فرنسا بزملاء قيمين فرنسيين في "المدرسة المهنية" في "افرو" فانتقل اثر هذه الحادثة إلى العمل والدراسة في "افرو" وتحصل في دورة جوان 1928 على الجزء الثاني من شهادة البكالوريا مما مكنه من أن ينتقل إلى باريس لدراسة الطب.

لقد كانت إقامة سليمان بن سليمان في مدينة "افرو" قصيرة لذلك لم يطل الحديث عن هذه المرحلة من حياته وكاد يمر عليها "مرور الكرام". ولكنه ، على عكس ما سبق ، سيطنب في الحديث عن فترة

(1) كانت بلاد المغرب تعد في هذه الفترة اثني عشر مليون (12) ساكن وكان عدد الطلبة الشمال أفريقيين في فرنسا عشرين (20) طالبا منهم عشرة تونسيين يليهم المروكشيون ثم الجزائريون. وسيصل هذا العدد إلى 200 سنة 1932 (نشرات جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في السنوات المذكورة سواء ما طبع منها في المطبعة الرسمية في تونس أو المطبعة المهدية في تطوان أو تطاوين في المغرب الخليفي. وهذا الأمر ينطبق على الجداول التي ستلحق.

دراسته في باريس وعن سبب اختياره دراسة الطب. فمما كتب في هذا الموضوع الأخير:

"إنها (يقصد مهنة الطب) مهنة تمكن ممارستها من دون صعوبات كبيرة في كل البلدان" (1)

ولقد سبق أن رأينا أن اختيار سليمان بن سليمان دراسة الطب يعود ، في جزء منه، إلى السياسة التي كانت تسلكها سلطة الحماية إزاء الوطنيين الاستقاليين التونسيين. فلقد كانت تنفي الوطنيين إلى خارج البلاد أو إلى المحتشدات العسكرية لتبعدهم بذلك عن الميدان السياسي المحلي الذي هو المقياس شبه الأوحد لصلابة كل نضال وتحد من تأثيرهم في عامة التونسيين الذين يمثلون ، وان بشكل كامن، القوة الوحيدة القادرة على التغيير إن تمكن منها الشعور الوطني. وانطلاقا من هذا التحليل قرر سليمان بن سليمان امتهان مهنة الطب باعتبارها مهنة تسهل ممارستها في كل مكان إذا مست الحاجة لذلك:

"اتخذ العقاب الذي تسلطه سلطات الحماية على رجال السياسة منذ ولادة الحركة الوطنية شكل الإبعاد حتى لا نتحدث عن عدد من المواطنين ممن اختاروا النفي الطوعي. وحتى المحكوم عليهم بالسجن يطردون في بعض الأحيان إلى خارج البلاد. إن هذا هو بالذات ما وقع بالنسبة إلينا منذ عهد قريب عندما وقع طرد القائد النقابي أحمد علي الحامي(2) وزملائه" (3)

إننا نفهم ، مما سبق ، أن توجس سليمان بن سليمان من مخاطر المستقبل هو واحد من الدوافع إلى اختيار دراسة الطب ومن ثم امتهانه دون سواه من المهن الحرة مثل المحاماة فمهنة الطب تمكنه من ممارسة مهنته في كل الأوقات والأصقاع سواء أكان ذلك بأجر أم من دون أجر في حالة مساندة القضية الوطنية. وخلاصة ما سبق هي أن سليمان بن سليمان كان قد تخطى منذ فترة مبكرة مرحلة التفكير والاختيار المهني ولكنه واجه مشكلة أخرى أكثر حدة ، ألا وهي مشكلة الموارد المالية لأن دراسة الطب تكلف الطالب مالا كثيرا.

لقد شغلت هذه المشكلة بال سليمان بن سليمان الذي لم تكن تعوزه سوى الإمكانيات المالية لأن مساعدة أخيه ، علي بن سليمان ، تاجر المواد الغذائية ، لم تكن منتظمة. أما مساعدة المنظمات الاجتماعية التونسية المحلية فكانت غير كافية. ولذلك فكر سنة 1928 ، وهذا يقودنا مباشرة إلى الحديث عن

(1) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 56.

(2) أحمد علي الحامي(1890-1928) " ولد حوالي 1890 ببلدة الحامة قرب مدينة قابس. سافر إلى طرابلس وعمل سائقا عند ضابط تركي هو أنور باشا حمله معه إلى اسطنبول ثم إلى ألمانيا فاستقر ببرلين أين عمل في مصنع للسيارات والطائرات كما تابع دروسا في إحدى الجامعات الحرة ببرلين مدة ثلاثة أعوام(1921-1924) وعاد إلى تونس نهائيا في مارس 1924. قام بتأسيس نقابة تونسية وطنية مستقلة عن النقابات الأوربية فألقي عليه القبض وحكم عليه في نوفمبر 1925 بالنفي لمدة عشر سنوات فتوجه إلى إيطاليا ثم إلى تركيا وحاول الالتحاق بابن عبد الكريم الخطابي بالمغرب الأقصى للمشاركة في ثورته فوق إيقافه بطنجنه وإبعاده ثم ذهب إلى المملكة العربية السعودية أين توفي حوالي 1928 اثر حادث سيارة كان يقودها" علي المحجوبي ، الحركة الوطنية التونسية بين الحربين ، تونس ، منش الجامعة التونسية 1986 ، صص 122-123، هامش 1

ثاني الجمعيات الشمال أفريقية، في الاتصال ب"جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في فرنسا" وكانت جمعية تقدم ، من ناحية ، يد المساعدة للطلبة الجدد وتقوم بتنظيم حلقات حوار يناقش فيها الطلاب المغاربة من تونس والجزائر و مراكش الأوضاع السياسية السائدة في بلدانهم وكذلك الأوضاع العالمية ولكنها كانت، من ناحية ثانية ، لا تبت في أمر من الأمور إلا إذا أشار عليها بذلك طالب الطب التونسي أحمد بن ميلاد " (1) الذي كان مدار الأمر في الجمعية متنفذا (...). نشيطا جدا يتقن فن تقديم الخدمات لجلب أكبر عدد من الطلبة إلى صف إدارة الجمعية وخاصة المنحدرين منهم من الطبقتين البورجوازيين الصغيرة والمتوسطة"(2).

إن سنة 1928 لم تكن هي أولى السنوات التي أعاد فيها سليمان بن سليمان ربط الصلة بصنف من زملائه القدامى في تونس إذ كان قبل هذه السنة يعنتم فترة العطل الدراسية للذهاب إلى باريس التي استقر للدراسة فيها أغلب الطلبة التونسيين ليتباحث معهم في الأوضاع السائدة في البلاد التونسية ولكنه بعد أن استقر، هو بدوره في باريس ، اندمج في الجماعة الطلابية "الأفاقية" التي زاملها في تونس:

"مكنتني إقامتي في باريس من إعادة ربط الصلة برفاقي السياسيين إذ أننا ، جميعنا، جننا فرنسا من أجل الاستعداد للنضال في تونس في مقبل الأيام"(3)

بل شكل معها تكتلا معارضا لإدارة الجمعية التي كان يرى أنها تخدم أساسا "البورجوازيين الصغيرة والمتوسطة" أي عندما كانت مجالس الجمعية في السنوات الدراسية الجامعية (1928-1930) على النحو التالي:

مجلس الجمعية لسنة 1928

السادة: سالم الشاذلي	رئيس	كلية الطب
الطاهر صفر	وكيل	كلية الحقوق
أحمد بن ميلاد	أمين السر	الطب
أحمد بلفرج (كذا)	أمين السر المعاون	الآداب
محمود العرابي	أمين المال	الطب

(1) أحمد بن ميلاد (تونس 1902-1994) ينحدر من عائلة مدينية تمارس مهنة تجارة الحرير. دخل المدرسة الصادقية سنة 1916 ثم انقطع عن التعلم النظامي سنوات تحول سنة 1925 إلى باريس لدراسة الطب (1925-1933) وقد كان في بداية العشرينات قد انخرط في الحركة الشيوعية وشارك في التحريض على الإضرابات التي قادتها الحركة العمالية الوطنية سنة 1924. وفي فرنسا ساهم في تحرير جريدة "الإنسانية" الشيوعية كما تعامل مع "نجم شمال أفريقيا" وأسس مع مجموعة طلابية مغربية "جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين" فكان إلى سنة 1933 "عمودها الفقري". لقد كان طالبا غاية في النشاط السياسي ذا شخصية كارسماتية. وعندما عاد إلى تونس انضم ، على عكس أغلب الطلبة الشبان ، إلى "الحزب الدستوري القديم" ولازم عبد العزيز الثعالبي بعد عودته إليها. اشتهر ب"عرقه" الاجتماعي إذ فتح له في حي شعبي عيادة وكان يتبرع بمداواة المعوزين مجانا يوما في الأسبوع الخ الخ إذ أن الرجل يستحق دراسة كاملة لا هامشا في مقالة. أما زوجته نبيهة بن ميلاد (1919-2009) فقد شابهته نضالا من أجل فكرة التقدم قولا وعملا وتوفيت في 6 ماي 2009

(2) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، صص 58

(3) سليمان بن سليمان ، صص 47-48

الطاهر الزاوش	عضو	الطب
محمد الفاسي	=	الأداب
محمد الوزاني	=	مدرسة العلوم السياسية
عمر العجمي	=	الصيدلة
محمد بن ساسي	=	الأداب
أحمد المشري	=	الحقوق
السيد محمود العرابي قدم استعفاه فتابه في أمانة المال السيد الشاذلي بن رمضان.		

مجلس الجمعية لسنة 1929

السادة: الطاهر الزاوش	رئيس	كلية الطب
محمد الفاسي	وكيل	الأداب
محمد بلحسن(كذا)الوزاني	أمين السر	الحقوق(كدا)
عثمان صفر	أمين السر المعاون	الطب
علي الحفاف	=	الأداب
الشاذلي بن رمضان	أمين المال	الطب
عبد القادر بن جلون	عضو	الأداب
محمد بن ساسي	=	الأداب
محمد علي العنابي	=	مدرسة تبريز المهندسين
الصادق الملولي	=	الأداب
محمد السقا	=	الطب
أحمد بن ميلاد	=	الطب
السيد محمد الوزاني قدم استعفاه فتابه في أمانة السر السيد عبد القادر بن جلون.		

أعضاء المجلس الإداري 1929-1930:

محمد السقا	رئيس
محمد الفاسي	خليفة له
عبد الرحمن موفق	=
أحمد بلافريج	كاتب عام
الطيب بن سالم	خليفة له
أحمد بن ميلاد	=
الصادق الملولي	أمين المال
عبد الملك زغيلش	مستشار
أحمد الخلطي	=
الشاذلي بن رمضان	=
الحبيب جا وحده	=
محمد عبد العزيز	=

إن تركيب هذه المجالس هو الذي يفسر رفض إدارة الجمعية مساعدة سليمان بن سليمان ماليا اذ كتب في هذا الموضوع:

" قبلت عندما حلت بباريس (سنة 1928) وطاردتني الحاجة إلى المال أن أطلب يد العون من جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في فرنسا أي يد العون المالي من رفاق طلبة مثلي. ومن جهة أخرى فقد قابلت في ما يتصل بهذه المشكلة الطالبين الأكبر مني سنا الطاهر الزاوش و(الشاذلي) بن رمضان وهما من إدارة الجمعية في غرفة واحد منهما في النزل. لقد كنت وصلت حالا إلى باريس فاستقبلاني استقبالا جيدا ولكنني كنت، على ما أعتقد، متضايقا شوية. ذلك أنه كان يجب، للنجاح في مساعي، أن أقابل (...) أحمد بن ميلاد (...) وبما أنني كنت أكبر الطلبة الذين يعارضونه سنا وأغلبهم كانوا، من ناحية، من أصل ريفي (قيقية، بوصفارة، العربي، بن بشير الخ...) ومن ناحية ثانية من رفاقي القدامى في الصادقية فان نتيجة المقابلة لم تكن مرضية" (1).

لقد تكاثرت منذ فترة ليست بالبعيدة الدراسات حول "جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في فرنسا" خاصة في تونس لأن عددا من الباحثين في التاريخ سُموا، في القرن الحادي والعشرين الذي كاد أن "يدفن" لا الدراسات في الحضارة القديمة وحدها ولكن، أيضا، الدراسات المتعلقة بالحضارة الحديثة بل " المعاصرة " في بلداننا المقطورة حضاريا، سُموا، قلنا، من هذا الحديث المكرر حول "مصلحي" تونس في القرن التاسع عشر فنقلوا مركز الاهتمام إلى القرن العشرين أي إلى ما بعد الحرب الكبرى فكان ل" ج. ط. م. ش. أ." نصيب غير هين من هذا الاهتمام.

ونحن، بقدر ما نشجع على مثل هذا التركيز لأن عددا من طلبة عشرينات القرن العشرين وثلاثيناته هم الذين سيتولون الحكم بداية من منتصف خمسينات القرن العشرين، نؤاخذ عددا من هذه الدراسات على ضعف الروح النقدية فيها لأنها تميل إلى طمس الخلافات الفكرية السياسية في صلب هذه الجمعية بشهادة واحد مثل سليمان بن سليمان:

"إن ج. ط. م. ش. أ. التي تأسست سنة 1927 كانت ساحة معركة سياسية طالبية بين الشمال أفريقيين وخاصة بين التونسيين الأكثر عددا في باريس" (1).

فمن الذي نصدق؟ هل نصدق سليمان بن سليمان الذي كان طرفا في القضية أم هذا "التأريخي" الذي ولد زمن الاستقلال ولقن تاريخا صاغه من أصبح من هؤلاء الطلبة حاكما البلاد؟ إن ما تقدم من هذا البحث يفيد أن المنبع التاريخي الأصفى هو منبع صاحب كتاب "ذكريات سياسية" إذ أنه سيمدنا بصورة حية عن هذا الصراع بين الشق الطالبية الذي ينتمي إليه والشق الخصم:

"كان أحمد بن ميلاد (في سنة 1930) يسكن في الحي الجامعي. ولقد حدث أمام باب المطعم الجامعي

(1) سليمان بن سليمان، الكريات، 59-60

(2) سليمان بن سليمان، الذكريات، ص 59

بعد تناول الطعام أن بادلت في البداية أحمد بن ميلاد الكلام. لقد ذكرته بخيانتته "النقابي الكبير أحمد علي" (سنة 1924) فغضب وأذرنني أنه سيكسر شدقي إن كررت ذكر هذه الشتيمة. وقد أجبته أنني سأفعل ذلك وأنه إن كسر شدقي فإنني سأرد عليه بالمثل. وها نحن نتبادل اللكمات ا كان أحمد بن

ميلاد ، وهو عصبي وأقوى مني، ينهال على وجهي لكما وكنت أرد الفعل قدر المستطاع. لقد حاول
أحمد علي العنابي ، وهو يرتدي زي قدماء تلاميذ المدرسة المركزية للفنون والصناعات ، أن يفصل
بيننا. ولقد توقفت هذه الملائكة وعدت مصحوبا بأحمد علي للاستراحة في غرفة العروسي شاكراً (1)
والسؤال الذي نطرح في هذه المرحلة من البحث هو التالي:

هل يجب أن نكتفي في ما يتصل بعلاقة أحمد بن ميلاد وشيعته بسليمان بن سليمان وصحابته (البحري
قيقة والصادق بوصفارة ومحمد سليم الخ...) بالأخذ بفكرة أن سبب الخصومة جهوي (أي في نهاية
المطاف بين المدينة والريف) أو حتى طبقي؟ أم أن القضية هي أعمق من ذلك بكثير إذ ما الذي يمكن
أن يربط ، في حقيقة الأمر، بين "منظر" الجماعة البحري قيقة والصادق بوصفارة من ناحية
وسليمان بن سليمان من ناحية ثانية خاصة أن الأيام ستبين أنه الوحيد من بين الجماعة الذي ثبت
على مواقفه من بداية شبابه إلى موته سنة 1986 لم يحد عنها قيد أنمله رافضا فكرة "السياسة هي
فن الممكن" أي "ديانة" بورقوية ومن هذه المواقف وقوفه في الثلاثينات موقف المناصر للحركات
التحررية في الشرق الأقصى ووقوفه في بداية الأربعينات موقف المناصر للاتحاد السوفيتي حتى أن
بورقوية كان يحب أن يصفه ب"راكب الجياد الخاسرة"؟

إننا لن نبحث عن الإجابة عن سؤالنا خارج ما كتب سليمان بن سليمان فلقد استنتج هو نفسه أن خيبة مسعاه
إلى طلب العون من أحمد بن ميلاد مردها اختلاف سياسي أساسا :

" إن مسعاه خاب من البداية بسبب أفكاره (2). ولقد كانت أفكار سليمان بن سليمان تتمحور حول فكرة
التقدم لا مثلما كان يفهمها التاريخيون العقلانيون وإنما مثلما كان يفهمها التاريخيون الماديون ولذلك كان
ينفر من مسيري جمعية طلابية اشتهر منهم في هذه الفترة الثلاثي أحمد بن ميلاد التونسي الذي كان
يظهر ميلا إلى الحزب الدستوري القديم لا يخفى على العين غير العشواء والمروكشيان محمد بن الحسن
الوزاني وأحمد بلافريج اللذان تشبعا بفكرة الشرعية العلوية وعاديا التراث الثوري الخطابي الذي كان

(1) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 61
(2) سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 58.

ينهل منه سليمان بن سليمان:

" كنت أتابع بجزع حرب الريف وتقلباتها أثناء الحرب على فرنسا وأثناء المفاوضات وتدخل أمريكا
لصالح عبد الكريم و السياسة الفرنسية التي انتهت بأن نالت من الجميع مأربا" (1)

لقد كان سليمان بن سليمان يركز في ما يتعلق بالجمعية الطلابية المغربية لا على الهيكل وإنما على الأساس الفكري السياسي الذي قام عليه هذا الهيكل ولذلك شك في فاعليتها إذ أنها كانت تدعو بتأثير المتنفدين فيها وهم في نظره محافظون ، إلى " فكرة مغربية رومانسية":

" كانت فكرة الوحدة الشمال أفريقية جديدة مثيرة للنفوس مبشرة بخير جم خاصة في صفوف الطلبة الذين كانوا في هذه الفترة من حياتهم مشبعين حماسة وأفكارا نبيلة"(2).

وقد تمكن " منظر " الجماعة "المشاغبة" البحري قيقة من التأثير في سليمان بن سليمان الذي رأينا انفتاحه الفكري حتى على أمم بعيدة تعيش في الشرق الأقصى حتى تبنى فكرة "ضرورة انفصال المغاربة قبل توحيدهم":

" صاغ البحري قيقة هذه السنة (1930) بيانا طبعناه ووزعناه والأساس في مذهبنا أن الجمعية يجب أن تكون محصلة جمعيات متميزة ثلاث : جزائرية وتونسية ومروكشية لا أن تكون في شكل جمعية موحدة لا تميز فيها. هل كان هذا المذهب مخططا لغاية محددة أم كان مذهبا مكيانا ؟ إنني لم أعد

أذكر ذلك فلا بد ، للبت في هذا الأمر ، من العثور على نص البيان" (3)

لقد كان لهذا البيان تأثير كبير في ما سيلي من أحداث ذلك أنه كان من أسباب تأخير انعقاد مؤتمر الجمعية سنة 1930 وهو مؤتمر جند أكثر الطلبة خلف أحمد بن ميلاد:

" لقد تجمعت الأغلبية حول أحمد بن ميلاد . فلقد تحالف مع الجزائريين والمروكشيين والبورجوازيين التونسيين. وكان الطاهر الزاوش ، أحد العمداء ، هو الذي يرأس الجلسة"(4).

إن هذا المؤتمر سينعقد بعد فترة قصيرة فتلحق الهزيمة بجماعة قيقة- ابن سليمان-بوصفارة وستصل الخلافات بين الشقين إلى حد ما رأينا قبل الآن من "حصّة ملاكمة" بين هذين الطالبين اللذين اتصفا ، معا ، بالثبات على المبادئ والنضال من أجلها. وهاتان الصفتان تشرفانهما بغض النظر عن اختلاف المواقف.

(1)سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 49

(2)سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 60

(3)سليمان بن سليمان ، الذكريات ، ص 60

هل سيتوقف الأمر عند هذا الحد ؟ لا. ذلك أنه بقدر ما سيزداد أحمد بن ميلاد إيغالا في "حزبيته الدستورية القديمة " سيزداد سليمان بن سليمان إيغالا في البحث عن شخصيات تونسية يمكن أن تقبر رموز المجتمع القديم.ولقد " حالفه الحظ" سنة 1931 عندما اكتشف الحبيب بورقيبة الذي

كان إذاك اندماجيا أي توأم الجزائري فرحات عباس مثلما كان من كبار المؤمنين بأن السياسة" هي فن الممكن" وقبل به واحدا من جماعته على الرغم من توجسه من بذور ملامح "تضخم نفسي" في هذا الألباني الطرابلسي التونسي:

" جاء بورقيبة ، بعد أن حضر مؤتمر جامعة حقوق الإنسان (1) في "فيشي" في مارس 1931 ، إلى باريس يقضي فيها عددا من الأيام. كان ذلك هو أول لقاء مباشر معه في الحي الجامعي مثلما كان أيضا أول صدام. ذلك أن بورقيبة كان ، وهو يتحدث عن المسألة السياسية التونسية ، لا يستبعد تحرير تونس في ظل فرنسا. لقد جاوبته بحدة متحدثا عن استقلال تونس. لم يكن يتحمل معارضة أحد. ولقد حاول وهو غاضب، أن يفرض علي وجهة نظره. هذه حادثة صغرى." (2)

لماذا وصف سليمان بن سليمان ما حدث بينه وبين بورقيبة سنة 1931 بأنه حادثة "صغرى" ؟ لأنه كان من ناحية يتحدث عن سنة 1931 وفي هذه السنة لم يكن دور بورقيبة السياسي بارزا ولأن القضية الأولى إذاك عند سليمان بن سليمان هي ، وهذه هي الناحية الثانية، التصدي "للمدينين التونسيين البورجوازيين المحافظين" والانتصار للأفريقيين ومنهم "القراسحة" (أي المنحدرين من قرى ساحل الوسط التونسي ويقال قياسا على ذلك "الشماغرة" إذا تعلق الأمر بسكان الشمال الغربي التونسي) أساسا. وبذلك يمكن القول إن انتصار بورقيبة على سليمان بن سليمان بدأ منذ هذه السنة حتى في صفوف جمعية الطلبة المسلمين الشمال أفريقيين في فرنسا إذ سيتخرج أحمد بن ميلاد طبيبا سنة 1933 ويعود إلى تونس فيترك في الجمعية الطلابية فراغا كبيرا سيبدأ خصومه أي في نهاية الأمر صحابة بورقيبة بملئه: تركيب المجلس الإداري لسنة 1933.

الرئيس	محمد الفاسي	الآداب
خليفته	الصادق بوصفارة	الطب (تخرج سنة 1933 فعوضه عبد الوهاب بكير)
	و	
	مالك بن النابي (يكتب خطأ بنبي) الآداب (عوضه عبد الحميد قلووش).	
الكاتب العام	الحبيب ثامر	الطب
خليفته	إبراهيم بن عبد الله	الحقوق
	و	
	محمد سومر	الصيدلة.
أمين المال	محمد الملولي	الصيدلة
المستشارون	أحمد بلافريج	الحقوق (عوضه عبد القادر بن جلون).
	محمد قاسم الدكالي	الحقوق
	علي البلهوان	الآداب.

الصيدلة

حسن داود

الطب

أحمد صميعة

لقد حاول الحبيب ثامر الكاتب العام للجمعية وعدد من القريبين منه فكريا مثل عبد الرحمان اليعلاوي والحبيب جا وحده الحد من إغراقها في بحر من الدستوريين الجدد القائلين بفكرة "انفصال المنظمات المغربية قبل توحيدها" فلم يفلحوا . ذلك أن عددا من الطلبة التونسيين الذين انضموا إلى الجمعية في السنوات 1933-1936 (أمثال الهادي نويرة وصالح بن يوسف ومحمود المسعدي الخ) كانوا من الآخذين بهذه الفكرة. وبذلك تمكن سليمان بن سليمان من تأسيس "الجنة الدفاع عن الحريات في تونس" ذات الصبغة "الدستورية الجديدة" في صلب المنظمة الطلابية المغربية. ولقد بذل سليمان بن سليمان نشاطا مكثفا في هذه اللجنة خاصة أنه غاب عن تونس مدة سنتين (1934-1936) بسبب تعسف المقيم العام "بيروتون". وعندما سيعود إلى بلده اثر تغيير هذا المقيم صيف 1936 سيعين طبيبا داخليا في المستشفى الصادقي.

وفي نهاية هذا الصيف نفسه سيولد رئيس تونس منذ 1987 ، السيد زين العابدين بن علي ، في عائلة غير ميسورة ، أي تماما مثل عائلة سليمان بن سليمان ، في قرية من قرى ساحل الوسط التونسي

ملاحظة: يعتذر صاحب الموقع عن خلل شاب خاصة الحلقة الأولى هو التكرار الثقيل أحيانا. ذلك أننا خشينا أن تدهمنا ذكرى وفاة سليمان بن سليمان من دون أن نسهم فيها ولو بالقليل. ولقد عثرنا في "كس" الأوراق المتبقية من بدايات أطروحات لم تتمكن صاحباتها وأصحابها من التقدم في إنجازها بالصيغة التي تستأهلها الشخصيات السياسية موضوع هذه الأطروحات (سليمان بن سليمان وعز الدين عزوز وحامد الزغل-ونحن نشكر هذا الرجل خاصة لأنه خصص جزءا من وقته لاستقبال بعض الطالبات استقبالا تحدثن به للجميع) على جزء مما نشرناه في الحلقة الأولى في الموقع بعد تهذيبه قدر المستطاع. أما الجزء الثاني فهو في أغلبه (إذ أغلب الحواشي على سبيل المثال تكفل عدد من طلبتنا القدامى بتجميعها) بقلم صاحب الموقع ولذلك تجرأ على أن يذهب فيه مذهباً لا نعتقد أنه يمكن أن يكون موضع إجماع.